
روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل
٣١
الخطوة الأولى
رجل المستحيل ● الخطوة الأولى ● ٣١ ● المؤسسة العربية الحديثة
المؤلف
د. نبيل فاروق
رجل المستحيل سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة
● الخطوة الأولى ●
● ترى .. كيف كانت الخطوة الأولى لـ (أدهم صبري) في عالم المخابرات ؟
● ما الذي اضطر (أدهم صبري) إلى دخول قلب (إسرائيل) ؟
● ترى .. لمن تكون الغلبة في صراع المخابرات هذا ؟ المخابرات المصرية أم الإسرائيلية ؟
● اقرأ التفاصيل المثيرة .. لترى كيف يعمل .. (رجل المستحيل) .
شوق قلبي
www.liilas.com/vb3

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ـ ملف الشيطان ..

طرق المقدم (حازم عبد الله) باب المكتب رقم (سبعة) فى الطابق الثانى ، بمبنى المخابرات الحربية المصرية ، وانتظر قليلاً ، فلما لم يأته جواب ، دفع الباب وخطا إلى الداخل ، واتسعت عيناه دهشة ، حينما وقع بصره على (قدرى) ، الذى جلس صامتًا ساكنًا فوق مقعد ضخم ، فهتف (حازم) وهو يتجه نحوه :

ـ أنت هنا أيها البدين .. لِمَ لَمْ تُجِبْ طرقاتى إذن ؟

رفع إليه (قدرى) وجهًا شاحبًا ، وقال فى صوت أقرب إلى الهمس :

ـ هل وصلت أخبار عن (أدهم) ؟

صمت (حازم) لحظة ظهر فيها الأسى على ملامحه ، ثم قال :

ـ مازال كما هو يا (قدرى) يصارع الموت ، الذى

ينشب فيه مخالبه في شراسة ، ومازال الأطباء يحاولون معاونته على تجاوز فترة الخطر .

عاد (قدري) إلى إطراقته ، وهو يسأله :

— و (منى) ؟

أجابه (حازم) وهو يسحب مقعدًا ، ويجلس إلى جواره :

— إنها بخير حال ، ولكنها ترفض العودة إلى (مصر) قبل أن تطمئن على (أدهم) .. وشقيقه الطبيب (أحمد صبري) ، طار صباح أول أمس إلى مستشفى (الرباط) المركزي ؛ ليشترك مع أطباء (المغرب) في رعاية شقيقه .

حرك (قدري) رأسه في أسى ، دون أن ينبس ببنت شفة ، على حين صاح (حازم) ، في لهجة حاول أن يصبغها بالمرح :

— ما رأيك ؟ .. لقد أحضرت لك بعض الفطائر الشهية ، وأدعوك لتناول وجبة شهية ، ومشروب منعش في مكتبي .

هزّ (قدري) رأسه نفيًا ، وقال في صوت حزين :

— ليس لي شهية للطعام يا (حازم) ... شكرًا لك .

ربّت (حازم) على كتفه ، وهو يقول :

— يا إلهي !! أنت حزين بالفعل .. إنها المرة الأولى التي ترفض فيها دعوتي للطعام .

وفي تلك اللحظة سمع كلاهما صوت باب الغرفة ، وهو يفتح ، فاستدارا نحوه ، ولم يكد بصرهما يقع على الزائر ، حتى هبّ (حازم) واقفًا في احترام ، على حين نهض (قدري) في بطء وهو يقول :

— مرحبًا بك في مكتبي المتواضع يا سيادة المدير .. كيف حالك ؟

ردّ مدير المخابرات المصرية تحيتهما ، وجذب مقعدًا أدناه من مجلسهما ، وأشار إليهما بمشاركته الجلوس ، وهو يقول :

— كيف حالكما ؟ .. لقد انتهيت لتوّي من مطالعة ملف عملية قديمة ، رأيت أن تشاركاني في الاطلاع عليها .

ثم أومأ إلى (قدري) ، وهو يردف :

— إنها تخصّ (أدهم صبري) ، وهي في الواقع أول عملية يضطلع بها في عالم المخابرات .

اعتدل الاثنان ، وقد جذب الأمر انتباههما إلى حَدّ كبير ، على حين أشعل مدير المخابرات سيجارته ، وهو يستطرد في هدوء :

ـــ كان ذلك في النصف الثاني من عام ألف وتسعمائة واثنين وسبعين ، وكان (أدهم) في الثالثة والعشرين من عمره ، ضابطًا برتبة ملازم ثان ، تخرّج منذ شهور قليلة في الكلية الحربية بدرجة إمتياز ، ولكنه رفض القيام بالتدريس في الكلية ، وطلب القيام بواجبه على جبهة القتال ، فتم إلحاقه بسلاح الصاعقة ، وأصبح ضابطًا في القوات الخاصّة المصرية ، حيث أثبت نبوغًا وتفوّقًا في أثناء بعض العمليات الرائعة في حرب الاستنزاف ، ممّا منحه شهرة واسعة داخل أروقة وزارة الحربية حينذاك .

نفث مدير المخابرات دخان سيجارته ، وتابع قائلاً :

ـــ في ذلك الحين كان لنا عميل خطير للغاية ، نجح في التسلّل إلى قلب صفوف القيادة الإسرائيلية ، وساعدتنا المعلومات التي كان يرسلها باستمرار ، على القيام بعدة

عمليات فدائية رائعة على الجبهة ، وداخل (تل أبيب) ، إلى أن كشف الإسرائيليون أمره بمحض الصدفة ، وألقى القبض عليه ، وحجزته المخابرات الإسرائيلية لاستجوابه في مقرها الخاص في (القدس) .. ولمّا كان الرجل يعرف الكثير عن جيشنا ، فقد قررت القيادة تكليف المخابرات المصرية استعادته بأي ثمن .. وبعد دراسة الأمر من كل جوانبه ، وجدت المخابرات أن هذه العملية من الخطورة ، بحيث يتحتم إرسال رجل واحد فقط للقيام بها .. ولمّا كان احتمال سقوط هذا الرجل أيضًا في أيدي العدوّ واردًا ، اقترح بعضهم إرسال رجل لا يعلم ما يكفي عن أسرار المخابرات ، بحيث تعجز المخابرات الإسرائيلية عن انتزاع معلومة واحدة منه ، مهما استخدمت من وسائل التعذيب البشعة التي تميل إليها .

وابتسم مدير المخابرات ، وهو يتطلّع إلى الإصغاء والاهتمام البالغين ، اللذين ارتسما على وجهي (حازم) و (قدري) ، وأردف في هدوء :

— وهنا قفز إلى الأذهان اسم (أدهم صبري) كأبرع رجال العمليات الخاصة، وبعد دراسة وافية تقرَّر إسناد الأمر إليه .

لم يزد تعليق الرجلين على أن غمغم (قدري) في انفعال وانبهار :

— يا إلهي !!

اتسعت ابتسامة مدير المخابرات، وقال وهو يناول الملف لـ (قدري)، الذي تملَّكته الدهشة :

— لم يكن (أدهم) في ذلك الحين يملك كل هذه الخبرة والمهارة بالطبع، ولكنه برغم ذلك أنهى العملية بشكل أصاب المخابرات الإسرائيلية بالجنون، واتسعت له عيون رجال المخابرات المصرية دهشة وإعجابًا .. والواقع أنه بعد قراءتي هذا الملف، أستطيع أن أقول إن (أدهم صبري) كان رائعًا حينذاك .

عاد (قدري) يغمغم، وهو يفتح أولى صفحات الملف :

— يا إلهي !!

استرخى مدير المخابرات في مقعده، وقال في هدوء :

— ابدأ في قراءة الملف يا (قدري)، وارفع صوتك جيدًا، فبرغم قراءتي لكل كلمة منه، إلا أن العملية ممتعة، إلى درجة تدفعني إلى الاستماع إليها مرة أخرى .. هيًّا أيها الرجل .

اعتدل (حازم) في مقعده، وأصغى بسمعه، وأغلق مدير المخابرات عينيه، وكأنه يحاول الانغماس في الأمر بعقله، على حين فتح (قدري) الملف، وتنحنح، ثم بدأ القراءة .

* * *



٢ — عملية القدس ..

تطلع قائد قوات الصاعقة المصرية إلى الرجل المتوسط الطول البادى الاحترام ، الذى يقف أمامه فى أدب واضح ، وهز رأسه مبتسما ، وهو يقول :

— إذن فقد وصلت شهرة الملازم (أدهم) إلى المخابرات الحربية !.. هل تنوون ضمه إلى صفوفكم ؟

هز الرجل رأسه نفيا ، وقال فى لهجة مهذبة ، تنم عن ثقافة رفيعة :

— ليس بعد ياسيدى .. إنها عملية منفردة .

أومأ قائد الصاعقة علامة الفهم ، وقال :

— حسنا أيها الرائد .. سأطلب استدعاءه فى الحال .

لم تكد تمضى لحظات ، حتى كان الملازم — حينذاك — (أدهم صبرى) يقف فى احترام أمام قائد الصاعقة ، الذى أشار إليه الرجل المتوسط الطول ، وقال :

— الرائد (محمد عبد الفتاح) ، من المخابرات الحربية يا (أدهم) .

رفع (أدهم) حاجبيه فى دهشة ، لم تلبث أن تلاشت ، وهو يغمغم فى لهجة حزينة :

— لقد كان والدى (رحمه الله) أحد رجال المخابرات الحربية ياسيدى ، ولكنه لقى مصرعه فى خدعة دنيئة .

ابتسم الرائد (محمد) ، وهو يقول :

— هاقد واتتك الفرصة للانتقام أيها الملازم .

انعقد حاجبا (أدهم) وهو ينظر إلى الرائد (محمد) فى تساؤل ، فربت هذا الأخير على كتفيه قائلاً :

— سأخبرك بالأمر كله أيها الملازم .. ولتعلم أنك تملك تماما حق قبول أو رفض المهمة التى تكلفك إياها المخابرات الحربية المصرية .

* * *

لم يكد رجل المخابرات ينتهى من شرح الأمر لـ (أدهم صبرى) ، حتى قال هذا الأخير فى هدوء :

— ومتى يمكننى بدء العملية ياسيّدى ؟

قفزت ابتسامة إعجاب إلى شفتى قائد الصاعقة ، على حين قال رجل المخابرات فى جدّية :

— ينبغى أن تعلم أن الأمر محفوف بالخطر ، إلى درجة يمكن معها القول إن نسبة النجاح لا تتجاوز عشرة فى المائة فقط .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

— لا عليك ياسيّدى .. الله — سبحانه وتعالى — وحده ، هو الذى يقرر كيف ومتى يقضى المرء نحبه ..

لم يتمالك رجل المخابرات نفسه من الإعجاب ، وهو يقول لقائد الصاعقة :

— من الواضح أن اختيارنا كان موفقًا ياسيّدى .

ابتسم قائد الصاعقة ، وهو يقول :

— لست أشك فى ذلك أيها الرائد .

عاد (أدهم) يسأل فى هدوء :

— متى يمكننى السفر إلى (القدس) أيها الرائد ؟

ابتسم الرائد قائلاً :

— ليس فورًا بالطبع أيها الملازم ، فستلقى أولاً بعض التدريبات الخاصة ، ثم تسافر إلى (أثينا) ، حيث ستحصل على جواز سفر فرنسى ، تسافر بواسطته إلى (إسرائيل) ، وهناك تبدأ مهمتك أيها البطل .

رفع (أدهم صبرى) يده بالتحية العسكرية ، وهو يقول فى لهجة تفيض حماسة وصدقًا :

— فى خدمة (مصر) ياسيّدى .. (مصر) قبل أى شىء .

* * *

٣ ـ على أرض العدوّ ..

هبطت طائرة شركة (العال) الإسرائيلية في مطار (القدس)، وتوقفت محركاتها عن الدوران، وأخذ ركابها يهبطون سلّمها في هدوء، حيث استقلّوا حافلة خاصة، نقلتهم إلى حيث تتم المعاملات الجمركية، قبل الدخول رسميًّا إلى (إسرائيل)...

رفع رجل الجمارك الإسرائيلية عينيه يتفحّص الشاب الفرنسي، الأشقر الشعر، الذي يبدو هادئًا بمنظاره الطبيّ، ونظراته البريئة، وسأله في اهتمام:

ـ هل هي زيارتك الأولى لـ (إسرائيل) يامسيو (آلان)؟

عدّل الشاب وضع منظاره الطبيّ، وقال في هدوء وبفرنسية سليمة للغاية:

ـ في الواقع .. نعم .. فالأعمال التي يقوم بها

الفدائيون الفلسطينيون، كانت تمنعني من ذلك، لولا رغبتي في التعامل التجاري معكم.

قطّب رجل الجمارك حاجبيه، وهو يقول في غضب:

ـ اسمهم المخربون العرب يا مسيو (آلان) .. رجالنا فقط هم الفدائيون.

ابتسم (آلان)، وقال:

ـ ليس لي شأن بمصطلحاتكم السياسية هذه .. أنا رجل أعمال فقط.

ختم رجل الجمارك جواز السفر، وناوله إلى الفرنسي، وهو يقول في برود:

ـ نرجو لك إقامة ممتعة في (إسرائيل) يامسيو (آلان).

ردّ (آلان) تحيته بإيماءة من رأسه، وتحرّك في هدوء حاملًا حقيبته الوحيدة إلى خارج المطار، واتجه من فوره إلى سيارة من سيارات الأجرة، ارتكن سائقها إلى جانبها، يطالع صحيفة الصباح، وسأله بالانجليزية في لكنة فرنسية واضحة:

— هل يمكنك نقلى إلى فندق الملك (داود) ؟

طوى السائق جريدته فى تبرُّم ، واتخذ مقعده خلف عجلة القيادة ، على حين جلس الفرنسى فى المقعد الخلفى ، وهو يتطلّع إلى المكان من حوله ، شأن سائح يرى مدينة جديدة لأوّل مرّة .. ولم تكد السيارة تنطلق ، حتى قال الفرنسى بإنجليزيته الركيكة :

— الجوّ ملبّد بالغيوم .. هل هناك احتمال سقوط أمطار ؟

أجابه السائق وهو يبتسم :

— ليس حينما يكون الجوّ جافًا .

ابتسم الفرنسى ، وقال فى لغة عربية خالصة ، تحمل اللهجة المصرية :

— ومن قال إنه سيظل كذلك ؟

لم تكن هذه العبارات سوى كلمة السر المتفق عليها ، لذا فما أن انتهى الفرنسى من عبارته الأخيرة ،

حتى فتح السائق درج (تابلوه) السيارة ، وأخذ منه بضع أوراق ، وأدار يده بها إلى الخلف ، يناولها إلى (أدهم صبرى) المتنكّر ، وهو يقول دون أن يلتفت خلفه :

— حمدًا لله على وصولك سالمًا إلى أرض المعركة ، أيها الملازم (أدهم صبرى) .. هاك أوراقك الجديدة .

فحص (أدهم) الأوراق ، وابتسم قائلاً :

— إذن فهذا يعنى أننى حال هبوطى من السيارة ، أكون قد تحوّلت إلى (إيزاك صمويل) ، مهاجر يهودى من الولايات المتحدة الأمريكية .

أجابه السائق فى هدوء :

— ستجد شقة مستأجرة باسمك ، فى أرقى أحياء (القدس) ، وسيقسم البواب أنك تتردّد عليها منذ عام كامل وبانتظام ، كما ستجد لك بضع أصدقاء من الإسرائيليين ، وبطاقة ضمان خاصّة ، ولقد حدّد لك وزير



مرحى !! يبدو أن كل شيء تم إعداده بدقة بالغة ..

الدفاع الإسرائيلى موعدًا لمقابلته عصر اليوم ، بعد أن تقدّمت أنت بطلب ذلك منذ يومين .

ابتسم (أدهم) فى إعجاب ، وقال :

ـــ مَرْحى !! يبدو أن كل شىء تمّ إعداده بدقة بالغة .. وماذا عن (ألان سينيوريه) ؟

ضحك السائق وهو يقول :

ـــ اطمئن .. فلا ريب أنه وصل الآن بالفعل إلى فندق الملك (داود) . والعجيب أنه يشبهك إلى حدّ مذهل ، وجواز سفره يحمل الاسم نفسه ، والرقم ذاته .. بل ومن

الأعجب أن السيارة التى ستقله إلى هناك ، تحمل نفس ألوان ورقم سيارتنا هذه ، وحتى أثر الارتطام الواضح فى مقدمتها .

استغرق (أدهم) فى الضحك ، وقال وهو يتناول حقيبة أخرى ، تشبه حقيبته فى المقعد المجاور للسائق :

ـــ هل كل الأوراق هنا ؟

أجاب السائق فى اختصار شديد :

ـــ كلها .

وفى تلك اللحظة ، توقفت السيارة أمام عمارة فاخرة فى أرقى أحياء (القدس) ، وهبط منها (أدهم) ونقد السائق أجره ، ولم ينسَ هذا الأخير أن يغمغم ببضع عبارات ساخطة ، لاعنًا ذلك البخيل الذى لم يمنحه بقشيشًا مناسبًا ، ثم انطلق لا يلوى على شىء ..

توجّه (أدهم) فى خطوات ثابتة إلى مدخل العمارة ، ونهض البوّاب ، وهو يحيّيه فى احترام قائلًا :

ـــ مرحبًا يا سيِّد (إيزاك) .

ردّ (أدهم) تحيته بإيماءة من رأسه ، وتوجّه إلى المصعد ، ورفع يده بالتحية ، وهو يحادث سيدة في أواخر الأربعينات ، قائلاً :

ـــ كيف حالك يا مدام (جولدمان) ؟

أومأت السيدة برأسها ردًّا على تحيته ، وهي تبتسم قائلة :

ـــ بخير يا سيِّد (إيزاك) .. شكرًا لك .

عاد (أدهم) يقول ، وهو يضغط أزرار المصعد :

ـــ الدور الثالث بالطبع .

أومأت السيدة برأسها موافقة ، ووقف (أدهم) إلى جوارها صامتًا ، على حين أخذ المصعد يأخذ طريقه إلى أعلى ..

ابتسم (أدهم) في قرارة نفسه ، إعجابًا بمهارة ودقة المخابرات المصرية ، فلقد أعد الأمر بمهارة تفوق الوصف ،

بحيث كان تنكّره يصلح لاتخاذ شكل فرنسي خالص ، يتحوّل إلى شكل مختلف تمامًا ، بمجرد نزع الشعر الأشقر المستعار ، والمنظار الطبّيّ ، بحيث يصبح شبيهًا بعميل فلسطيني ، يتخذ منذ عام كامل اسم (إيزاك صموئيل) ..

وحتى جيران (إيزاك) هذا ، قضى (أدهم) ساعات طوالاً يطالع صورهم ، ويستمع إلى شرائط مسجلة لأصواتهم ، حتى أصبح من السهل عليه تعرّفهم بمجرد رؤيتهم ، أو حتى سماع أصواتهم من خلال الهاتف ..

لم يكد (أدهم) يصل إلى شقة (إيزاك) ، حتى أغلقها خلفه في إحكام ، وتوجّه من فوره إلى الهاتف ، طالبًا رقمًا خاصًّا ، وقال حينما بدأ الاتصال ، متحدثًا بلغة عبرية سليمة :

ـــ هنا (إيزاك صموئيل) .. أريد أن أؤكد موعد مقابلة محددة سابقًا مع السيِّد وزير الدفاع .

وانتظر حتى جاءه الجواب ، وقال وهو يبتسم في سخرية :

— في القاعة تمامًا ؟ شكرًا لك .

ثم وضع السمّاعة ، وابتسم وهو يقول :

— حسنًا .. في هذا الموعد تبدأ العملية في اتخاذ مسار جاد .

وأردف بعد هنيهة من الصمت :

— وخطر .

* * *



٤ — في عرين الأسد ..

نهض وزير الدفاع الإسرائيلي يصافح (أدهم) في حرارة مفتعلة ، وهو يتفرّس في ملامحه في دقة بعينه السليمة ، على حين اختفت الأخرى خلف عصابة سوداء ، تعطيه شكلاً مميّزًا ، ودعاه للجلوس ، ثم عاد إلى خلف مكتبه ، وسأله في هدوء :

— لقد طلبت مقابلتي لسبب رفضت الإفصاح عنه ، مدّعيًا أنه هام وخطير للغاية يا مستر (إيزاك) .. فهل يمكنني معرفته الآن ؟

مال (أدهم) إلى الأمام ، وتظاهر بخطورة الأمر ، وهو يقول :

— إنه يتعلق بثغرة خطيرة في جهاز مخابراتنا يا سيّدي .

اتسعت عين وزير الدفاع عن آخرها ، وهو يهتف في جزع :

— (الموساد) ؟!.

ثم لم يلبث أن تمالك أعصابه ، وهو يكمل سؤاله فى هدوء ظاهرىّ :

— أية ثغرة هذه ؟

قال (أدهم) فى همس :

— هناك جاسوس مصرىّ داخل (الموساد) يا سيّدى الوزير .. رجل يسمى نفسه باسم (جاكوب باريف) ، ولكنه فى الواقع يدعى (خيرى سالم) ، وهو ضابط مخابرات مصرى يحمل رتبة مقدّم .

ظلّ وزير الدفاع يتأمّل (أدهم) ، فى نظرات مستريبة لاتخلو من الدهشة ، ثم عاد بمقعده إلى الوراء ، وأخذ يتساءل فى أعماقه عن كيفية معرفة (إيزاك) بهذا الأمر ، وباسم الجاسوس الذى أوقع به (الموساد) بالفعل ، برغم كون الأمر غاية فى السرّية حتى هذه اللحظة .. ولم يلبث وزير الدفاع أن حوّل أفكاره إلى صوت مسموع ، وهو يقول :

— وكيف عرفت ذلك يا مستر (إيزاك) ؟

ابتسم (أدهم) فى مكر قائلاً :

— لدىّ وسائلى الخاصّة يا سيّدى الوزير .

نهض وزير الدفاع من مقعده صامتًا ، وأخذ يدور فى أرجاء حجرته الفسيحة ، وهو يعقد كفّيه خلف ظهره ، ثم التفت فجأة إلى (أدهم) ، قائلاً فى حِدّة :

— اسمع يا مستر (إيزاك) .. ليست هناك وسائل خاصة غير معروفة فى مجتمعنا ، مادام الأمر يتعلق بأمن (إسرائيل) .. وهذا الذى تتحدّث عنه بالغ الخطورة ، إلى حدّ يحتم معرفتى بوسيلة حصولك على هذه المعلومات ، مهما كان الثمن .

نهض (أدهم) واقفًا ، وقال فى هدوء :

— كنت أنوى كشف الوسيلة فى الوقت المناسب يا سيّدى .

ضرب وزير الدفاع سطح مكتبه بقبضته فى عصبية ، صائحًا :

— بل ستكشفها الآن يا مستر (إيزاك) وإلا ....

قلب (أدهم) كفيه ، وقال فى لهجة المغلوب على أمره :

— إنك لا تترك لى الخيار يا سيدى .. حسنًا .. سأخبرك بالأمر .

ثم اعتدل ، وقال فى هدوء :

— أنا أيضًا أعمل مع المخابرات المصرية ، يا سيادة وزير الدفاع .

* * *

كان لتصريح (أدهم) وقع الصاعقة ، فى قلب وزير الدفاع الإسرائيلى ، الذى تراجع خطوة حادة إلى الخلف ، وظل يحملق فى وجه (أدهم) مذهولًا ، حتى تخيل هذا الأخير أن الوزير الإسرائيلى سيسقط مصعوقًا ، إلا أنه هتف فجأة :

— ماذا يعنى هذا يا مستر (إيزاك) ؟

أجابه (أدهم) فى لهجة جادة :

— يعنى باختصار أن المصريين حاولوا تجنيدى لحسابهم يا سيدى ، ولقد تظاهرت بالموافقة ، وأبلغتهم ببعض معلومات تافهة ، مما منحنى لديهم بعض الثقة ، فطلبوا منى إبلاغ كل ما لدىّ أولًا فأولًا إلى رجلهم ، الذى يعمل وسط مخابراتنا .

غمغم وزير الدفاع فى ذهول ، وهو يسرع نحو هاتفه :

— يا إلهى !! الأمر خطير بالفعل .

وطلب رقمًا سريعًا ، وقال فى لهجة تموج بالانفعال :

— أرسل لى (شيمون) فى الحال .

وأعاد السماعة ، وهو يتفرس فى (أدهم) فى مزيج من الشك والدهشة ، ثم سأله :

— ولِمَ لَمْ تلجأ إلى (الموساد) مباشرةً يا مستر (إيزاك) ؟.. لقد كانت قصتك ستثير انتباههم بلا شك إلى أقصى حد .

هزّ (أدهم) كتفيه ، وقال :

— هل تريد منى أن أذهب إليهم ، وهذا الجاسوس المصرى وسطهم ؟.. كان سيبلغ المصريين فى الحال ، وربما قتلونى انتقامًا .

وقبل أن ينطق وزير الدفاع الإسرائيلى معقبًا ، دخل رجل طويل القامة إلى حدٍّ مثير للانتباه ، عريض المنكبين ، أدّى التحية العسكرية لوزير الدفاع فى صمت ، وهو يرمق (أدهم) بنظرة جانبية متسائلة ، فأسرع الوزير يقول :

— ادخل يا (شيمون) .. لدىّ هنا أمر مذهل .

استمع (شيمون) إلى قصة وزير الدفاع ، وهو يرمق (أدهم) بنظرات متشككة ، حتى انتهى الوزير من حديثه ، فقال :

— معذرة ياسيّدى ، ولكن هذا الأمر يحتاج إلى التحقّق منه جيّدًا .

قال (أدهم) فى لامبالاة :

— افعل ما بدالك .

استدار إليه (شيمون)، وسأله فى صوت ماكر خفيض:

— ولِمَ لَمْ تبلغنا بالأمر منذ البداية يا مستر (إيزاك) ؟

أجابه (أدهم) فى برود :

— كنت أخشى هذه السخافات ، التى تتحدّث بها يا مستر (شيمون) .

ساد الصمت فترة غير قصيرة ، داخل حجرة وزير الدفاع ، ثم تحدّث (شيمون) قائلاً :

— هل توافق على الخضوع لتجربة قصيرة يا مستر (إيزاك) ؟

هزّ (أدهم) كتفيه قائلاً :

— نعم يا مستر (شيمون) ، مادمتم تصرُّون على استخدام أجهزة كشف الكذب فى كل شىء .

ابتسم (شيمون) ، وقال وهو يستأذن وزير الدفاع فى التحدّث تليفونيًا :

— من الواضح أنك تعلم وسائلنا جيّدًا يا مستر (إيزاك) .

أجابه (أدهم) فى برود :

— لقد صنع منى المصريون محترفًا يا مستر (شيمون) .

ازدادت ابتسامة (شيمون) خبثًا ودهاءً ، وهو يقول من خلال الهاتف :

— إنه أنا (شيمون) يا (مائير) .. لدينا هنا رجل نريد اختبار قصة عجيبة يرويها .. لا .. ليس بواسطة جهاز كشف الكذب .. سنستخدم معه أسلوبًا لم يتوقعه .. نعم .. سنستخدم مصل الحقيقة .

ثم وضع السمّاعة ، والتفت إلى (أدهم) قائلاً في تخابث :

— والآن يا مستر (إيزاك) .. أمازلت مستعدًا لخوض التجربة ؟

* * *



٥ — الأسير ..

مال وزير الدفاع الإسرائيلي على أذن (شيمون) ، وسأله في اهتمام :

— هل أنت واثق من نتيجة اختبار مصل الحقيقة هذا ؟

ابتسم (شيمون) في ثقة ، وقال :

— كل الثقة يا سيدي وزير الدفاع ، فالمادة التي يتركّب منها هذا المصل لها مفعول عجيب .. في إلغاء قدرة العقل البشري على المحاورة والمداورة ، فهي تترك الإنسان في حالة بين الوعي واللاوعي ، كما في التنويم المغناطيسي ، بحيث يمكنه سماع الأسئلة الموجّهة إليه ، والإجابة عنها ، على حين لا يمكنه حبك قصة لم تحدث بالفعل .

سأله وزير الدفاع وهو ينظر إلى (أدهم) ، الذي استقر في هدوء فوق مقعد خشبي ، مسلمًا ذراعه إلى رجل يرتدي معطف الأطباء ، يغرس إبرة محقن في وريد واضح في منتصفها :



استقر في هدوء فوق مقعد خشبيّ، مسلماً ذراعه إلى رجل يرتدى معطف الأطباء ..

— وهل هناك وسائل معروفة ، لتفادى مفعول مصل الحقيقة أو التغلب عليه ؟

قال (شيمون) في ثقة كبيرة :

— إنه لم يكن يتوقع استخدامنا هذه الوسيلة يا سيّدى .

اكتفى وزير الدفاع بهذا القول ، وعاد يتابع رؤية (أدهم) ، الذى احتقن وجهه بالدماء ، التى سرعان ما غاضت منه ، واتسعت عيناه في ذهول ، وتراخت ذراعاه إلى جانبه ، وبدا واضحاً أن أجفانه تتثاقل ، وهو يغمغم :

— يا لوسائلكم السخيفة !!

ثم لم يلبث جفناه أن تراخيا تماماً ، ومال رأسه على صدره في سكون ، فتنهّد (شيمون) في ارتياح ، وقال :

— الآن يمكننا استجوابه يا سيّدى وزير الدفاع .. وكن واثقاً من أن كل كلمة ينطق بها ستكون في جانب الصّدق .. كل الصّدق ولا شيء غير الصّدق .

* * *

هز (أدهم صبرى) رأسه فى قوة ، وقال فى لهجة غاضبة ، وهو يمسح جبينه بمنديل ورقى صغير :

ــ ألمْ تكن هناك وسيلة لاستجوابى ، خيرًا من هذا الأسلوب السخيف ؟

ابتسم (شيمون) ، وهو يربت على كتفه قائلًا :

ــ معذرة يا صديقى .. إنها ضرورات الأمن .. نحن محاطون بالأعداء من كل جانب ، ولا بدّ لنا من مزيد من الحيطة والحذر .

سأله (أدهم) بصوت :

ــ وهل انتهيتم من التحقق من قصتى ، أم ما زالت لديكم وسائل سخيفة أخرى ؟

ابتسم وزير الدفاع الإسرائيلى ، وقال :

ــ بل سنكتفى بهذا يا مستر (إيزاك) ، فكل كلمة نطقت بها وأنت تحت تأثير مصل الحقيقة ، طابقت ما رويته فى أثناء وعيك تمامًا ، كما أن تحرياتنا أثبتت إقامتك فى القدس منذ عام كامل .. منذ هجرتك من الولايات المتحدة

الأمريكية إلى هنا .. إننا نصدقك يا مستر (إيزاك) ، وسنعمل على الإفادة منك بأقصى قدر ممكن ، بحيث نلقن المخابرات المصرية درسًا ، يعلمهم من الأقوى فى المنطقة .

سألهما (أدهم) :

ــ وماذا عن الجاسوس المصرى فى (الموساد) ؟

قال (شيمون) فى اهتمام :

ــ لقد ألقى القبض على هذا الجاسوس بالفعل يا مستر (إيزاك) ، ولكنه يرفض الإدلاء بأى شىء ، برغم كل وسائل العنيفة التى تعرض لها .

تظاهر (أدهم) بالفرح ، وهو يقول :

ــ هل ألقيتم القبض عليه ؟ .. هذا رائع .. يمكننى الآن العمل فى اطمئنان .

ثم صمت فجأة ، وبدا على ملامحه أنه يفكر فى أمر ما ، ولم يلبث أن قال فى حماس :

ــ تقولون إنكم عاجزون عن انتزاع ما لدى الرجل من معلومات .. أليس كذلك ؟ .. يمكننى أنا أن أفعل ذلك .

نظر إليه وزير الدفاع و (شيمون) فى دهشة ، ثم سأله الأول :

ـــ وكيف يمكنك ذلك ؟

اعتدل (أدهم) ، وقال فى لهجة توحى بأهمية الأمر :

ـــ إنه لايعلم بعد أننى أعمل معكم ، وما زال يظن أننى أعمل لحساب المخابرات المصرية ، لذا فهو سيمنحنى ثقته الكاملة ، وخاصة إذا ما أقنعته بأن المخابرات المصرية هى التى كلفتنى محاولة إنقاذه .

برقت عينا وزير الدفاع ، وهو يقول :

ـــ أكمل يا مستر (إيزاك) .. إن خطتك تروق لى .

تابع (أدهم) فى اهتمام :

ـــ عليكم إقناعه بنفاد صبركم ، وفشلكم فى انتزاع ما لديه من معلومات ، ثم تتظاهرون بنقله إلى السجن الحربى فى (تل أبيب) ، وفى نفس الوقت تطلبون من حراسه التظاهر بالموت ، حينما أهاجم السيارة التى تقله ، وأطلق عليهم نيران مدفع رشاش محشو برصاص (فشنك) ،

وبعدها أصحبه إلى منزل منعزل فى (بيت لحم) ، حيث أخبره أننى أنقذته بناء على تكليف المخابرات المصرية ، وأبدأ فى الحديث معه عمّا تريدونه من معلومات ، فى نفس الوقت الذى تدسّون فيه أجهزة التسجيل والتصنّت فى كل مكان بالمنزل .

ساد الصمت لحظة ، ثم قال وزير الدفاع :

ـــ وماذا يضمن عدم هروبه ؟

قال (أدهم) فى حماس :

ـــ أحيطوا (بيت لحم) بحراسة شديدة .. صدّقنى ياسيّدى وزير الدفاع .. إننى أفعل ذلك تأكيدًا لولائى الشديد .. إننى أخاطر بنفسى أيضًا ، حتى أننى أطلب منكم إلقاء القبض علىّ أيضًا ، حينما تداهموننا فى (بيت لحم) ، بحيث لايكتشف هذا الجاسوس عمل معكم .

عاد الصمت يسود قليلاً ، ثم غمغم (شيمون) :

ـــ إنها خطة معقولة ، ولن نخسر شيئًا بالمحاولة .

ثم استدار إلى وزير الدفاع ، قائلاً :

ـ إننى أوافق على هذه الخطة يا سيدى وزير الدفاع .. أوافق تماما .

* * *



٦ ـ الهروب الكبير ..

انطلقت السيارة التى تقل المقدم (خيرى سالم) ، فى طريقها من (القدس) إلى (تل أبيب) ، وحراسها يختلسون النظر خفية إلى الطريق ، فى انتظار الهجوم الزائف الذى أخبرهم به رؤساؤهم .. وحتى المقدم (خيرى) نفسه شعر بالدهشة ، حينما أحصى عدد حراسه ، فوجدهم أربعة رجال فقط ، بالإضافة إلى ضابط واحد يجلس على المقعد المجاور للسائق ، وتساءل فى قرارة نفسه عن سبب إهمال الإسرائيليين فى نقله ، وهم مشهورون بحرصهم الشديد على أسراهم ، وخاصة حينما يتعلق الأمر بضابط مخابرات مصرى ..

وفجأة .. قطع أفكاره رؤيته سيارة من نوع (الجيب) ، تتبع سيارة الحراسة فى سرعة متزايدة ، جعلت المسافة بين السيارتين تتناقص فى اطراد عجيب ، حتى أصبحت (الجيب)

خلف سيارة الحراسة تمامًا ، ففوجئ بقائدها الأشقر ينتزع
من جواره مدفعًا رشاشًا يصوّبه إلى الحرس ..

وقبل أن يتخذ المقدّم (خيرى) أيّة ردود فعل ، انطلق
صوت رصاصات الرشاش مدوّيًا ، ورأى (خيرى) حراسه
يسقطون فى الحال ، دون أن يرفع أحدهم مدفعه دفاعًا عن
نفسه ، ثم رأى الضابط والسائق يقفزان من السيارة بعد
إيقافها ، ورآهما يسقطان على إثر انطلاق مدفع قائد
(الجيب) الأشقر ، وتملكه مزيد من الدهشة حينما صاح فيه
قائد (الجيب) :

ــ أسرع يا صديقى .. اقفز إلى السيارة .. لا بدّ أن
نبتعد فى سرعة ، قبل أن يحيط بنا الآلاف من جنود الجيش
الإسرائيلى .

وبدون تفكير ، وبرغم جسده المنهك من شدة
التعذيب ، قفز المقدّم (خيرى) من سيارة الحراسة ، إلى
المقعد المجاور لسائق (الجيب) ، التى انطلقت فى سرعة
شديدة مبتعدة عن المكان ، فصاح (خيرى) فى دهشة :

ــ من أنت أيها الشاب ؟ .. ولماذا أنقذتنى ؟

أطلق (أدهم) ضحكة عالية ، وقال :

ــ أنا (إيزاك) يا صديقى خيرى .. ألا تعرفنى ؟

نظر إليه (خيرى) فى دهشة ، وهمّ بإنكار معرفته به ،
إلا أن (أدهم) وضع سبّابته على فمه محذّرًا ، وانحرف بالسيارة
فجأة خلف مرتفع صخرى ، ثم أوقفها بصورة حادّة ، ومدّ
يده فى سرعة ، وضغط على زرّ صغير ، اتسعت بعدها عينا
(خيرى) دهشة ، حينما سمع صوته يخرج من جهاز تسجيل
صغير مثبّت بالسيارة ، أو هو على وجه الدقة صوت شديد
الشبه بصوته يقول :

ــ أهو أنت (إيزاك صمويل) .. مرحى يا رجل ..
لاريب أن مخابراتنا كلّفتك إنقاذى .

قفز (أدهم) من السيارة ، وأشار لـ (خيرى) أن يبتعد
بعيدًا عن السيارة ، على حين استمر جهاز التسجيل يذيع
حديثًا مفتعلًا بينهما ، إلى أن صارا على بعد كبير من
الجيب ، فصاح (خيرى) :

— ما الذى يحدث ؟.. من أنت أيها الشاب ؟

ابتسم (أدهم) ، ورفع يده بالتحية العسكرية قائلاً :

— الملازم (أدهم صبرى) من قوات الصاعقة فى خدمتك يا سيدى المقدم .

غمغم (خيرى) فى دهشة :

— الصاعقة ؟!.. ماذا يحدث ؟.. إننى لا أفهم شيئاً .

وقصّ عليه (أدهم) الأمر فى كلمات مختصرة ، وهما يسرعان الخطا إلى مكان قريب ، فانفجر (خيرى) ضاحكاً ، وقال :

— يالك من جرىء أيها الشاب ؟! من المفروض أن تنضم إلى المخابرات المصرية .. أنت موهوب فى هذا المجال .

دار الاثنان حول الطرف الآخر للمرتفع الصخرى ، وتوقف (خيرى) مشدوهاً ، وهو يسأل :

— ما هذا ؟.. هل أعددت سيارة أخرى ؟

قال (أدهم) ، وهو يقفز خلف عجلة قيادة السيارة الثانية :

— بل أعدّها رجالنا هنا يا سيادة المقدم . فالسيارة التى أعطانى إياها هؤلاء الأوغاد ، مزوّدة بجهاز تصنُّت ، لنقل الحديث الذى يدور بيننا ، لذا فقد أدرت جهاز تسجيل يمكنه خداعهم فترة طويلة ، حتى يمكننا عبور الحدود .

يسأله (خيرى) :

— أية حدود ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء وهو يدير محركات السيارة الثانية :

— الحدود الأردنية يا سيّدى .. إنهم ينتظروننا هناك ، ولقد أعدّوا كل شىء .

* * *

داخل غرفة صغيرة فى مبنى قديم وسط مدينة (القدس) ، وقف وزير الدفاع الإسرائيلى يحادث (شيمون) ، قائلاً فى لهجة توحى بالتشكّك :

— مازلت أخشى أن يفرّ ضابط المخابرات المصرى يا (شيمون) .

ابتسم (شيمون) في ثقة ، وقال :

ـ اطمئن ياسيدي وزير الدفاع .. مازال كل شيء تحت سيطرتنا تمامًا ، ومازلنا نمسك بالخيوط دون أن يدري (إيراك) نفسه .

وصمت لحظة ، ثم شعر بحاجته إلى تفسير الأمر ، برغم معرفة وزير الدفاع الإسرائيلي له ، فعاد يردف قائلاً :

ـ لقد ثبتنا جهازًا صغيرًا في حجم الدبوس ، في حذاء ضابط المخابرات المصري ، قبل نقله إلى سيارة الحراسة ، وهو نفسه لايدري ذلك .. وسيقوم هذا الجهاز بإعطائنا إشارات منتظمة ، تمكننا من معرفة مكانه باستمرار ، وستكون قواتنا مستعدة لمهاجمته فور اتخاذه مسارًا لايروق لنا .

أومأ وزير الدفاع برأسه ، وهو يغمغم :

ـ هذا عظيم .

وفي تلك اللحظة ، نهض جندي إسرائيلي من أمام جهاز صغير ، وأدى التحية العسكرية قبل أن يقول :

ـ هناك أمر لانستطيع فهمه بالنسبة للإشارات ياسيدي .

ظهر القلق على وجهي وزير الدفاع و (شيمون) ، وهما يسألان الجندي في آن واحد :

ـ ماذا تعني بهذا أيها الجندي ؟

أشار الجندي إلى جهازه ، وقال في حيرة :

ـ الحديث الذي تلتقطه أجهزة التصنت المثبتة بالسيارة يبدو عاديًا ، وينقل إلينا صوت محرك السيارة وهي تسير ، ولكنه في الوقت نفسه يأتي من نقطة واحدة لاتتغير ، أو تتحرك ، على حين أن الإشارات التي يبعثها جهاز التتبع المثبت في حذاء الجاسوس ، تشير إلى أنه يتحرك نحو الشمال الشرقي إلى (أريحا) تقريبًا .

قطب وزير الدفاع حاجبيه في قلق ، على حين غمغم (شيمون) في دهشة :

ـ (أريحا) !؟ .. هذا يخالف المسار المتفق عليه تمامًا .

وفجأة اتسعت عيناه صائحًا :

ـ يا للشيطان !! لقد خدعنا (إيراك) .

ثم قفز نحو خريطة كبيرة ، أخذ يفحصها في اهتمام بالغ ، وهو يقول في عجلة وانفعال :

ــ لقد خدعانا بواسطة جهاز تسجيل عادي .. إنهما يحاولان الوصول إلى حدود (الأردن) ، إلى نهر (الأردن) ، بحيث يمكنهما عبور الحدود إلى (وادي أبو عربة) .. إننا لن نسمح لهما بذلك .

وبدون تبادل كلمة أخرى زائدة ، رفع وزير الدفاع سماعة هاتفه ، وصاح في لهجة آمرة ، وصوت غاضب :

ــ فليبدأ فورًا تنفيذ الخطة الاحتياطية (كس ٢) .. ولكن معلومًا أنني أريد الجاسوسين على قيد الحياة .. استخدموا كل الإمكانات المتاحة .

ووضع سماعة الهاتف ، وهو يردف في حنق :

ــ هذا الشيطان (إيزاك) .. سأمزقه إربًا حينما تقع يدي عليه .

هتف (شيمون) في حيرة :

ــ ولكن كيف خدع مصل الحقيقة ؟.. إنه لم يكن مستعدًا لمواجهته .

قال وزير الدفاع في حنق :

ــ أنت غبي يا (شيمون) .. لقد كان هذا الشيطان (إيزاك) مستعدًا تمامًا لخوض التجربة .. بل لقد استغل غرورك وغباءك ، ليدفعك دفعًا إلى استخدام مصل الحقيقة .

اتسعت عينا (شيمون) دهشة ، وهو يصرخ :

ــ ولكن كيف ؟

ظهر الغضب في عين وزير الدفاع ، وهو يقول :

ــ ألم تفهم بعد كيف ؟

* *

تردد هذا السؤال في الوقت نفسه على شفتي المقدم (خيري سالم) ، والسيارة التي يقودها (أدهم) تنطلق في سرعة كبيرة عبر طرق جانبية ، تقود إلى (أريحا) .. فأجابه (أدهم) في هدوء :

ــ لقد أعدت المخابرات المصرية الأمر بشكل دقيق مدروس للغاية يا سيادة المقدم .. فقبل زيارتي لوزير الدفاع

الإسرائيلي ، تناولت جرعة مناسبة من مادة خاصة ، تلغي مفعول مصل الحقيقة ، ثم حينما طلب (شيمون) استجوابي وإخضاعي لتجربة خاصة — وهذا متوقع بالطبع — سخرت أنا في الحال من استخدامهم لأجهزة كشف الكذب ، فكان من الطبيعي أن يحاول إثبات تفوّقهم ، وتعدُّد وسائلهم باستخدام مصل الحقيقة ، وهو يظن أنني لم أتوقع ذلك .. ولم يعد باقيًا إلا بعض التمثيل والتظاهر بالوقوع تحت تأثير المصل ، ولقد درّبتني المخابرات المصرية طويلًا على كتم أنفاسي بحيث يحتقن وجهي ، ثم التظاهر بالتراخي والاستسلام .. وهكذا كنت أجيب عن أسئلتهم بوعي كامل ، وهم يظنونني تحت تأثير المصل .

ابتسم المقدم (خيري) ، وقال :

— هكذا رجالنا دائمًا يا صديقي .. يعدُّون لكل شيء عدته .. إنهم عباقرة .

أومأ (أدهم) برأسه موافقًا ، وقال :

— وهذا ما يجعل عملكم ممتعًا مثيرًا ياسيادة المقدم .

نظر إليه (خيري) في دهشة ، وقال :

— هل تراه كذلك ؟

هتف (أدهم) في حماس صادق :

— بالطبع .. إنني لم أحصل على هذه المتعة مسبقًا قط .

تأمل (خيري) ملامح (أدهم) في حيرة ، ثم هز كتفيه ، وقال :

— ربما بالنسبة للمرة الأولى .



تأمل خيري ملامح (أدهم) في حيرة

وفجأة .. وصل إلى مسامعهما صوت هدير مألوف ، وشملهما وجوم مباغت فترة قصيرة للغاية ، ثم غمغم (خيري) :

ـ يا إلهي !! وكأنها ....

زاد (أدهم) من سرعة السيارة ، وهو يقول في هدوء :

ـ نعم يا سيّدي .. إنها هليوكوبتر حربية إسرائيلية .

وكالطير الجارح ، ظهرت الهليوكوبتر فجأة ، وهي تقترب منهما في سرعة كبيرة ، وصاح (خيري) في قلق :

ـ أتقصدنا بالذات .. أم أنها دورية عادية ؟

ولم يكد يتم عبارته ، حتى انهمرت الرصاصات حولهما ، من المدفع الرشاش ، المثبت بالطائرة المروحية ، وقال (أدهم) في سخرية عجيبة ، وهو ينحرف بالسيارة في مسار متعرّج خطر :

ـ ها هي ذي إجابة سؤالك يا سيادة المقدّم ... لقد انطلق الجيش الإسرائيلي كله خلفنا .

* * *

٧ ـ رجلان وجيش ..

انقضت الهليوكوبتر الإسرائيلية على (الجيب) ، التي تحمل الضابطين المصريين ، تمطرها بوابل من الرصاص ، وأخذ (أدهم) يناور الطلقات في مهارة وسرعة ، حتى سمع المقدّم (خيري) يهتف في حنق :

ـ لا فائدة أيها الملازم .. إننا ننطلق في صحراء قاحلة ، كنملة فوق صفحة بيضاء .. سيصطادوننا حتمًا .

أعمل (أدهم) فكره في عبارة المقدم (خيري) ، وغمغم في هدوء :

ـ نعم يا سيّدي .. أفضل وسيلة هي الاستسلام .

وفجأة .. ضغط (أدهم) (فرامل) سيارته في قوة ، فتوقفت على نحو مباغت ، مما أثار حولها عاصفة من الغبار ، ونهض (أدهم) وأخذ يلوّح بذراعيه بما يعني استسلامهما .. وهنا فقط توقّف سيل النيران المنهمر ،

وأخذت الهليوكوبتر تدور حول السيارة بضع دورات ، ثم هبطت على بعد أمتار قليلة منها ، وقفز من داخلها خمسة جنود إسرائيليين ، يصوّبون مدافعهم الرشاشة إلى (أدهم) و (خيرى) ، على حين ظل قائدها خلف عصا القيادة ، مستعدًا للانطلاق فور انتهاء رجاله من أسر المصريّين ..

شعر المقدم (خيرى) بحنق بالغ ، حينما هتف (أدهم) بالعبرية :

ـ إننا نستسلم .

ثم تحرّك فى شكل يوحى بالهبوط من (الجيب) ، واستعد المقدم (خيرى) لعقبه ، حينما سمع (أدهم) يهمس فى صوت خافت حازم سريع :

ـ اهبط إلى قاع السيارة بسرعة .

وفجأة .. اختطف (أدهم) مدفعه الرشاش من فوق المقعد ، وتحرّك فى سرعة بدت فى عينى المقدم (خيرى) مذهلة ، بحيث لم تسنح الفرصة أمام الإسرائيليين حتى للدهشة ، فقد انطلقت رصاصات مدفع (أدهم)

الرشاش ، وكأنها تحمل الموت فى أطرافها ، وسقط الجنود الخمسة صرعى فى جزء ضئيل من الثانية الواحدة ، وأسرع قائد الهليوكوبتر يدير مراوحها وقد تملّكه الجزع ، على حين تنبّه المقدم (خيرى) إلى أنه لم يختف فى قاع السيارة بعد ..

وارتفعت الهليوكوبتر فى سرعة مخيفة ، واندفعت نحو (الجيب) ، وكأن قائدها ينوى الارتطام مباشرة بالضابطين المصريّين ، ولكنّ شعرة واحدة من الخوف لم تهتز فى كيان (أدهم) ، فانحنى بجسده إلى الخلف ، وانطلقت رصاصات مدفعه الرشاش تخترق جسم الهليوكوبتر ، التى فقدت توازنها بشكل واضح ، ومالت مراوحها ، وتحطّمت عند ارتطامها بالأرض ، وهوت الهليوكوبتر مهشّمة محترقة ، على بعد مائة متر فقط من الجيب .

نقل المقدم (خيرى) نظره فى دهشة ، بين الهليوكوبتر المحطّمة و (أدهم) الذى عاد يقفز خلف عجلة القيادة ، ويدير محركات (الجيب) ، وهو يقول فى لهجة من ألِف عملًا عاديًا :

— ها قد تخلصنا من العقبة الأولى ، وعلينا الآن أن نزيد من سرعتنا قبل أن يلحقوا بنا .

جلس المقدم (خيرى) صامتا ، وقد قرر إرجاء الدهشة والتساؤل إلى وقت آخر ، ولكنه فوجئ بـ (أدهم) يوقف السيارة بغتة ، ويلتفت إليه متسائلا :

— ولكن كيف توصلوا إلينا ؟

غمغم المقدم (خيرى) فى ضيق :

— لقد كشفوا أمرنا فحسب أيها الملازم .

هزّ (أدهم) سبابته أمام وجهه ، وهو يقول فى اهتمام :

— معذرة يا سيادة المقدم ، ولكن الأمور لا تسير بهذا الأسلوب الاتفاقى .

قال المقدم (خيرى) ، وقد أعياه الأمر :

— أليس من الأفضل أن نسرع بالابتعاد عن هنا ، بدلا من إضاعة الوقت فى التساؤل ؟

ولكن (أدهم) تابع ، دون أن يبدو عليه سماع ما قاله (خيرى) :

— لقد اختارت المخابرات المصرية طريقا خاصا يخترق الصحراء ، بعيدا عن أعين الجميع حتى الدوريات الإسرائيلية ، كما أن التسجيل المثبت فى (الجيب) يوحى بحديث بيننا ، وهذا يعنى أنهم توصلوا إلينا بوسيلة أخرى .

قال المقدم (خيرى) فى هدوء وهو يسترخى فى مقعده ، ويسحب مدفعا رشاشا إضافيا أحضره معه (أدهم) :

— يبدو أننا مضطرون لتأجيل هذه التساؤلات أيها الملازم على الرغم منا .

أثارت العبارة انتباه (أدهم) ، الذى رفع عينيه وحاجبيه ، حينما وقع بصره على ذلك الشىء الذى دفع المقدم (خيرى) إلى النطق بالعبارة .. كانت ثلاث دبابات إسرائيلية تبرز من خلف تل بعيد ، وتتجه نحوهما ومدافعها مشهورة فى وضع استعداد للإطلاق .

* * *

غمغم المقدم (خيرى) فى إصرار من يرفض الهزيمة :



وقبل أن ينطق المقدم (خيرى) بكلمة اعتراض واحدة ، رفع (أدهم) مدفعه الرشاش ، وأخذ يطلق نيرانه

ـ سنقاتل حتى الموت أيها الملازم .

أدار (أدهم) محركات (الجيب) ، وهو يقول في لهجة ساخرة أثارت دهشة (خيرى) :

ـ هراء يا سيادة المقدم .. سنجعل هؤلاء الأوغاد يتوسلون إلينا لإيقاف القتال .

ثم انطلق بالجيب فجأة ، متخذًا طريقه نحو الدبابات الإسرائيلية ، فصاح (خيرى) :

ـ ماذا تفعل أيها المجنون ؟.. إنك تواجههم !!

لم يرد (أدهم) على أن قال في تهكم :

ـ هذا أفضل يا سيادة المقدم .

وقبل أن ينطق المقدم (خيرى) بكلمة اعتراض واحدة ، رفع (أدهم) مدفعه الرشاش ، وأخذ يطلق نيرانه على الدبابات الثلاث ، وهو يقود الجيب في مهارة عجيبة ، مستخدمًا يدًا واحدة ، وحبس (خيرى) أنفاسه ذهولًا وحنقًا ، وخيّل إليه لدهشته أن طاقم الدبابات الثلاث قد ارتبك ، حتى أن إحداها لم تطلق

قذيفة واحدة ، حتى أصبحت (الجيب) على بعد أمتار قليلة منها ، لا تسمح بإطلاق المدافع . فأسرع بعض أفراد الدبابات يطلق المدافع الرشاشة خلف (الجيب) ، التي عبرت بين دبابتين في سرعة ومهارة ، واختلطت ضحكة (أدهم) الساخرة بصوت المدافع الرشاشة ، وهو يقول :

— من عيوب الدبابات أن سرعتها تعجز عن مطاردة سيارة ، مثل تلك التي تقودها يا سيادة المقدم .

صاح (خيري) في دهشة ، وهو يستدير لإلقاء نظرة على الدبابات ، التي أخذت تدور حول محورها في بطء لتواجه (الجيب) بمدافعها :

— أنت محظوظ أيها الملازم .. جريء ومحظوظ إلى أقصى حد .

أطلق (أدهم) ضحكة أخرى ساخرة ، وقال :

— ليس للحظ شأن بهذا يا سيدي .

نظر إليه (خيري) في دهشة ، وصاح :

— ماذا تقول أيها الشاب ؟

أجابه (أدهم) في هدوء ، وهو يرقب كثبان الرمل اتجاهه ، في أثناء قيادته الانتحارية للجيب :

— هل تظن الإسرائيليين من الغباء ، بحيث يطلقون النار مباشرة على ضابط مخابرات مصري ؟ .. إن القبض عليك حيًا هو الانتصار الحقيقي بالنسبة لهم يا سيدي ، وهم حينما يهاجموننا ، إنما يهدفون إلى إخافتنا ، وبث الرعب في قلوبنا ليس إلا ، ولكنهم لن يخاطروا بفقدان هذه الفرصة المثالية ، التي يأملون في استغلالها ، لإحداث ضجة إعلامية كبرى .. كلا يا سيدي .. إنهم لن يطلقوا النار علينا قط ..

غمغم (خيري) في دهشة :

— ولكن الهليوكوبتر ؟!

قاطعه (أدهم) في هدوء :

— لقد أطلقت طنًا من الرصاص ، ولكن تذكر أن إحداها لم يصب حتى جسم (الجيب) ، وكذلك فعل طاقم الدبابات .. لقد أرادوا إرهابنا لنستسلم ، ولكننا خذلناهم بتحدينا الموت .

ابتسم المقدم (خيرى) فى إعجاب شديد ، وقال فى صوت خافت :

ـ هذا صحيح .. حتى الدبابات لم يجرؤ طاقمها على إطلاق مدافعه نحونا أيها الملازم .. الأمر واضح للغاية .. هؤلاء الرجال لديهم أوامر بإحضارنا أحياء .

قال (أدهم) فى اختصار :

ـ فليحاولوا يا سيّدى .

ثم أردف فى هدوء :

ـ المهم الآن أن نصل إلى (أريحا) ، قبل أن يبرز الذئب أنيابه عن آخرها ؛ فهم يعلمون أين نحن ، ومن الجائز أن يكونوا على علم أيضًا بما ننوى فعله و ....

وفجأة .. تبدلت لهجة (أدهم) ، وهو يصيح فى انفعال :

ـ يا إلهى !! لقد فهمت كل شىء .. لقد فهمت كيف توصّلوا إلينا ..

ثم أطلق ضحكة ساخرة ، مستطردًا فى حماس :

ـ سنهزم جيش الإسرائيليين يا سيّدى .. صدّقنى .. سنهزمه .

* * *



٨ ـــ الكمين . .

اتجهت أنظار بعض الدليّين في مدينة (أريحا) ، نحو طائرة هليوكوبتر خاصة ، تهبط داخل أحد معسكرات الجيش الإسرائيلي ، ورأى الجميع رجلًا يهبط منها في غطرسة ، فترتفع أكفّ الجنود بالتحية في احترام بالغ . . لم يكن هذا الرجل سوى (شيمون) ، رجل المخابرات الإسرائيلي الذي حضر خصّيصًا للقبض على بطلينا . . .

أسرع قائد المعسكر يؤدّى التحية لرجل المخابرات الإسرائيلي ، الذي ردّها بجفاء وغطرسة ، وهو يقول :

ـــ هل جنودك على أهبة الاستعداد ؟

رفع قائد المعسكر رأسه في كبرياء ، وهو يجيب :

ـــ على أتم استعداد يا جنرال (شيمون) . . دائمًا .

مطّ (شيمون) شفتيه ، واتجه يسير في أنحاء المعسكر ، قائلًا :

ـــ أنت تعلم سبب قدومي بالطبع . . لقد درسنا كل ما يتعلّق بضابط المخابرات المصرى الهارب ، والخائن الذى أنقذه ، وبناء على ما توصلنا إليه ، سيتجه الاثنان إلى هنا في (أريحا) كخطوة أولى ، ثم ينطلقان شرقًا إلى حدود نهر (الأردن) ، حيث ينتظران مساعدة ما ، لمعاونتهما على عبور الحدود إلى (وادى أبو عربة) في الأردن ، ولكننا لن نسمح لهما بذلك بالطبع .

ردّد قائد المعسكر في لهجة موافقة مختصرة :

ـــ بالطبع يا جنرال .

عاد (شيمون) يقول :

ـــ سنعد لهما كمينًا هنا . . سنتظاهر أننا لمْ نفهم ذلك ، ونتركهما يدخلان (أريحا) في اطمئنان ، ثم . . . .

وطرقع إصبعيه بما يعنى إنهاء الأمر ، فابتسم قائد المعسكر ، وقال :

ـــ نعم يا جنرال . . إنها خطّة رائعة ، ولقد أرسلت بعض رجالنا لرصد تحركات سيارتهما .

احتقن وجهه (شيمون) ، واستدار إليه فى حدّة ، وصاح فى وجهه غاضبًا :

ــ أرسلت ماذا ؟.. هل تحاول تنبيههما أيها الغبى ؟

ظهر الغضب على وجه قائد المعسكر ، وهو يقول :

ــ كلا يا جنرال .. إن رجالنا لن يتدخلوا فى مسيرتهما مطلقًا .

أشاح (شيمون) بوجهه بعيدًا ، وغمغم فى حنق :

ــ فلنأمل ذلك ، وإلا كان عقابك شديدًا .

شحب وجه القائد الإسرائيلى ، وهو يتطلع فى قلق إلى الصحراء الممتدة أمامه ، ويغمغم فى صوت شديد الخفوت :

ــ نعم يا جنرال .. لنأمل ذلك .

* * *

ألقى المقدم (خيرى) حذاءه بعيدًا ، والتفت إلى (أدهم) ، الذى استرخى فى هدوء خلف عجلة القيادة ، وقال :

ــ أنت تفكر على نحو ممتاز أيها الملازم .. إننى لم أنتبه مطلقًا إلى ذلك الجهاز الذى ثبتوه فى كعب حذائى .

هزّ (أدهم) كتفيه فى بساطة ، وقال :

ــ فلنقل إنه إلهام ربانى ياسيادة المقدم .. لقد أثار انتباهى معرفتهم مكاننا ، برغم أننا اتخذنا مسارًا غير منتظر ، وهذا يعنى أنهم يتبعوننا عن طريق شىء ما ، دسّوه فى ثيابك ، ماداموا لم يتدخلوا فى ثيابى أو السيارة التى نستقلها .

قفز (خيرى) داخل السيارة ، وهو يقول :

ــ حسنًا .. لقد تخلصنا من جهازهم اللعين .. دعنا نتابع رحلتنا إذن إلى (أريكا) .

أدار (أدهم) محركات الجيب ، وهو يقول :

ــ معذرة ياسيادة المقدم ، ولكننا لن نتوجه مطلقًا إلى (أريكا) .

استدار إليه (خيرى) فى دهشة ، لم تلبث أن تحولت إلى غضب عارم ، وهو يقول :

— يبدو أنك نسيت فارق الرتب بيننا أيها الملازم .. إنك تتصرّف وكأنك الأعلى رتبة . فتتخذ القرارات ، وتضعها موضع التنفيذ دون إعلامي أو استشارتي .. ألمْ تخبرني منذ قليل أنك تسير تبعًا لخطّة مُحْكَمة وضعتها المخابرات المصرية ؟.. إن ما سمعته منك منذ لحظات ، يؤكد أن هناك من ينتظرنا في (أريحا) ، وأن مهمته تقضي تزويدنا بثياب عسكرية إسرائيلية ، وتصاريح مرور مزوّرة ، تتيح لنا الوصول إلى نهر (الأردن) ، حيث ينتظرنا بعض الفدائيين الفلسطينيين ، لمعاونتنا على عبور الحدود الأردنية .

أومأ (أدهم) برأسه موافقًا ، وقال في هدوء :

— هذا صحيح يا سيّدي .

انفجر (خيري) صائحًا :

— ماذا يعني قولك إننا لن نذهب مطلقًا إلى (أريحا) إذن أيها الملازم ؟

اعتدل (أدهم) ، وقال :

— ما دام الإسرائيليون قد كشفوا خطّ سيرنا ، فهذا سيعني بالتأكيد أنهم قد توقّعوا ذهابنا إلى (أريحا) ، فهم ليسوا أغبياء يا سيادة المقدم ، ولست أشك في أنهم يُعدّون لنا كمينًا هناك .

قال (خيري) في حدّة :

— ليس هذا من شأنك أيها الملازم .. سأتولّى أنا مسئولية القيادة منذ هذه اللحظة .

لم يعلّق (أدهم) بكلمة واحدة على هذا الحديث ، على حين بدت عيناه معلقتين بنقطة ما في الصحراء ، فعاد (خيري) يصيح في غضب :

— استمع إليّ جيّدًا أيها الملازم .

أشار (أدهم) بيده ، وقال في هدوء :

— فلنؤجل هذا لما بعد يا سيادة المقدم ، فهناك سيارتان عسكريتان تقتربان منّا ، وأعتقد أنهما يهدفان إلى إلقاء القبض علينا .

استدار (خيرى) فى حدّة إلى حيث أشار (أدهم) ، وصاح وهو يقفز إلى السيارة :

ـــ حسنًا أيها الملازم .. انطلق بالسيارة .. لا بدّ أن نبتعد من هنا .

هزّ (أدهم) رأسه نفيًا فى هدوء ، وقال وهو يوقف محركات الجيب :

ـــ معذرة يا سيّدى ، ولكننى لا أنوى إضاعة الوقت فى المطاردات .

صاح (خيرى) فى عصبية :

ـــ ماذا تنوى إذن بحق السماء ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء ، وهو يجذب صمام الأمان بمدفعه الرشاش :

ـــ سترى يا سيّدى .. لقد فشلت الخطّة الأساسية ، ولم يعد أمامنا سوى الارتجال ، وهذا ما أنوى فعله .

ومع عبارة (أدهم) الأخيرة ، توقفت السيارتان الإسرائيليتان على بعد أمتار قليلة من سيارتهما ، وقفز منهما

عدد من الجنود الإسرائيليين ، صوّبوا مدافعهم الرشاشة نحو سيارة (أدهم) و (خيرى) ، وصاح قائدهم فى صوت أجشّ ، وبلغة عربية ركيكة :

ـــ ارفعوا أيديكما فوق رأسيكما .. سنطلق النار عند أول محاولة للمقاومة .



* * *



٩ ـ قتال الشياطين ..

كان قائد السيارتين الإسرائيليتين ، يشعر فى قرارة نفسه بالفخر والسعادة ، فرغم أن الأوامر الصادرة إليه ، كانت تقضى بمراقبة الرجلين فقط ، إلا أنه حينما وجدهما قد أوقفا سيارتهما يتحدثان ، ورأى (صبرى) يلقى حذاءه بعيدًا أصابه الشك ، وفهم فى الحال أن هذا الحذاء يحوى الأداة التى تتيح لهم ـ الإسرائيليين ـ تعقب الرجلين ، واتخذ قراره على الفور بمخالفة الأوامر ، وإلقاء القبض على هذين الخطيرين ، اللذين تحركت من أجلهما إدارة (الموساد) بأكملها .. ولقد ظهر فخره وسعادته فى صوته الأجش ، وهو يرمق الرجلين بنظرات ساخرة شامتة ، قائلاً :

ـ إنها نهاية الرحلة أيها السيدان .

ولم تكد عبارته تكتمل ، حتى تحركت يد (أدهم صبرى) فى سرعة خاطفة ، فالتقط المدفع الرشاش الملقى

فوق المقعد المجاور ، وصوّبه إلى الإسرائيليين ، برغم عددهم البالغ عشرة جنود ، وقال فى سخرية أدهشت الجميع ، حتى المقدم (صبرى) :

ـ بل هى بداية الرحلة أيها الوغد .

شحب وجه القائد الإسرائيلى ، وأصيب جنوده بالتوتر ، ولكنه استعاد جأشه فى سرعة عجيبة ، وقال :

ـ ستصيبكما رصاصاتنا ، قبل أن تقتل ثلاثة أيها الرجل .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ـ خطأ أيها الوغد .. إن لديكم أوامر بعدم إطلاق النار علينا ، على حين ليست لدىّ أوامر تمنعنى من قتلكم جميعًا بلا رحمة .

قال القائد الإسرائيلى فى حدة :

ـ إنك لن تخطو كيلومترًا واحدًا ، إلا تجد نفسك فى قبضة رجال جيشنا أيها المغرور .

وفي تلك اللحظة .. التقط المقدم (خيري) الرشاش الآخر ، وصوّبه إلى الإسرائيليين بدوره ، وهو يقول :

ـ لا تنس أننا اثنان يا قائد الأوغاد ، ولن يكون علي كل ما سوى القضاء على خمسة منكم فقط .

احتقن وجه القائد الإسرائيلي غضبًا ، وصاح في عناد :

ـ إن الأوامر تقضي عدم قتلكما ـ هذا صحيح ـ ولكنها لا تمنعنا من تمزيق ساقيكما .. فكل ما نحتاج إليه من الجواسيس ، هو ألسنتهم فقط .

وفجأة .. وبدون سابق إنذار ، انطلق وابل من النيران ، من فوهة المدفع الرشاش الذي يمسك به (أدهم صبري) ، ولم تكد تنقشع أدخنته ، حتى وجد الجنود الإسرائيليون العشرة أنفسهم عزلًا من السلاح ، دون أن يصاب واحد منهم بخدش صغير . فتطلعوا في رعب وذهول إلى (أدهم) ، الذي وقف هادئًا على نحو ينم عن اللامبالاة ، مصوبًا مدفعه الرشاش نحوهم ، قائلًا :

ـ من المؤسف أنني لا أميل إلى طول الحديث والمجادلات المسرحية ، وإنما أحب الإجراء الفوري العملي .

خُيّل للإسرائيليين العشرة في تلك اللحظة أن هذا المصري شيطان جاء يصطحبهم إلى الجحيم ، فرفعوا أيديهم في صمت إلى ما فوق رؤوسهم ، وكل منهم يتساءل عن تلك المقدرة الفذّة في إطلاق النار ، التي ساعدت هذا الشيطان على الإطاحة بمدافعهم الرشاشة ، مستخدمًا سلاحًا مماثلًا ، دون أن تفلت منه طلقة رصاص واحدة ، ودون أن يصيبهم بسوء ، على حين لم يتمالك المقدم (خيري) نفسه إعجابًا ، فهتف من أعماقه :

ـ هذا رائع أيها الملازم .. لولا أنني رأيت هذا بعيني ؛ لأقسمت إنه مستحيل .. إنني لم أشهد في حياتي رجلًا يتمتع بهذه المقدرة الخرافية في إطلاق النار .

قال (أدهم) ، وهو يبتسم في هدوء :

ـ دع المجاملات والتقييم لما بعد يا سيادة المقدم ، أمّا الآن فعلينا البحث عضن تابسنا مقاييسه وسط هؤلاء الأوغاد .

* * *

تحرّك رجل المخابرات الإسرائيلي (شيمون) في عصبية ، وهو يلقي نظرات قلقة إلى ساعته ، ثم غمغم في تساؤل :

ـ عجبًا .. إن المسافة من (القدس) إلى (أريحا) لا تستغرق كل هذا الوقت .

قال قائد المعسكر الإسرائيلي بطمأنينة :

ـ ربما اتخذ مسارًا متعرّجًا ، تفاديًا لنقاط المراقبة .

عقد (شيمون) حاجبيه ، وتمتم في صوت خافت :

ـ ربما !!

ثم التفت بغتة إلى قائد المعسكر ، وقال في لهجة توحي بأهمية الأمر :

ـ هل لديك خريطة لإسرائيل ؟

أجابه قائد المعسكر في دهشة :

ـ بالطبع يا جنرال .. إنها تغطّي حائطًا بأكمله في غرفتي .

استدار (شيمون) ، وتحرّك في خطوات سريعة نحو مكتب القائد ، وهو يقول في عجلة :

ـ هلمّ بنا إلى هناك .

أسرع قائد المعسكر الخطا خلف (شيمون) ، الذي يتحرّك في عجلة ، ليقف أمام الخريطة الضخمة متطلّعًا في اهتمام بالغ ، حتى أن قائد المعسكر لم يجرؤ على التفوّه بكلمة ، حتى سمع (شيمون) يغمغم :

ـ هل هذا معقول ؟

فسأله في فضول واهتمام :

ـ ماذا تعني يا سيّدي ؟

قال (شيمون) ، وهو يشير إلى موقع ما على الخريطة :

ـ لو أن المصريّين كشفا جهاز التتبّع الذي خبأناه في حذاء ضابط المخابرات ، ولو أنهما يمتلكان الذكاء الكافي ، فسيتخذان مسارًا ...

قاطعهما فجأة رنين الهاتف الخاص فى مكتب قائد المعسكر ، الذى أسرع ينتزع سمّاعة الهاتف قائلاً :

ـــ هنا نقطة مراقبة (أريحا) .. من المتحدّث ؟..

وصمت لحظة ، ثم ناول السمّاعة إلى (شيمون) قائلاً :

ـــ إنها الإدارة يا جنرال .

تناول (شيمون) سمّاعة الهاتف ، واستمع إلى المتحدّث فى هدوء ، لم يلبث أن تحوّل إلى حدّة بالغة ، وهو يصرخ :

ـــ ماذا ؟.. لماذا لم تخبرونى منذ البداية ، أن جهاز التتبُّع يرسل إشارات ثابتة تنمُّ عن التوقُّف ؟

ثم وضع السمّاعة فى عنف ، وصاح فى وجه قائد المعسكر :

ـــ اطلب من قائد الهليكوبتر أن يستعدَّ للإقلاع فوراً .

أسرع قائد المعسكر ينفّذ الأمر ، وهو يتساءل فى نفسه عن سبب هذا التغيير المفاجئ ، على حين رفع (شيمون)

سمّاعة الهاتف مرة أخرى ، وطلب رقماً خاصاً ، وما أن أتاه صوت محدّثه ، حتى قال فى عجلة :

ـــ أنا الجنرال (شيمون إليعازر) ، وكلمة السّرّ هى (شنايم) .. صلنى فوراً بقائد منطقتك ، فلدىَّ أوامر عاجلة له .

* * *

هزّ المقدم (خيرى) رأسه فى حَيْرة ، ثم التفت إلى (أدهم صبرى) ، وتأمّله فى صمت ثوانى معدودة ، ثم سأله :

ـــ هل يمكننى أن أفهم الخطّة التى تتبعهـا أيها الملازم ؟ .. لقد أضعت وقتاً طويلاً فى اختيار جنديّين إسرائيليين تتساوى مقاييسهما معنا ، ثم أجبرتهما على خلع زيّهما العسكرى قبل أن نقيّد الجميع ، وتنطلق بنا فى هذا المسار المخالف للخطّة تماماً .. وبعد ذلك ترفض أن نرتدى الزى العسكرى الإسرائيلى .. هل لى أن أفهم لماذا ؟ أم أنك تظن نفسك الأعلى رتبة ؟

قال (أدهم) في هدوء :

ـ بالنسبة لفارق الرتب ، فيمكنك أن تنساه تمامًا ، حتى تطأ أقدامنا أرضًا مصرية .

صاح (خيري) وقد اتسعت عيناه دهشة :

ـ ماذا تقول أيها الملازم ؟

قال (أدهم) في صرامة :

ـ أقول إن فارق الرتب لا يعنيني في الوقت الحالي يا سيادة المقدم ، فلقد أسندت إليّ مهمة إنقاذك ، وإحضارك إلى (مصر) سالمًا معافى ، ولم يذكر لي أحدهم فكرة العمل تحت إمرتك ، وأنا مُصِرٌّ على تنفيذ ما كلفته مهما كان الثمن .

صاح (خيري) في غضب :

ـ لا ريب أنك جننت .. هل تعلم عقوبة مخالفة الأوامر العسكرية ؟

قال (أدهم) في حزم :

ـ أعلمه جيدًا يا سيادة المقدم ، ويمكنك إعدامي حينما تصل إلى مصر .. كل ما يعنيني في الوقت الحالي ، هو أن أنجح في المهمة التي كلفتها .

صمت (خيري) لحظة ، ووجد أن الشجار لن يؤدي إلى نتائج إيجابية في الوقت الحالي ، فقال في هدوء :

ـ إنك لم تجب عن أسئلتي بعد أيها الملازم .

قال (أدهم) في هدوء وجدّية :

ـ لقد كان مبعث إصراري على الحصول على الزيّ العسكري الإسرائيلي ، هو إيهام الجميع أننا متنكّر في هذا الزيّ يا سيادة المقدم ، وبالتالي يبدأ الجميع البحث عن جنديّين مزيّفين ، على حين نبقى نحن بزيّنا العادي هذا ، باستثناء حذاء الجندي الذي ترتديه بدلًا من حذائك .. إنها محاولة لخداعهم يا سيادة المقدم .

لم يستطع (خيري) منع نفسه من الابتسام ، وهو يقول في إعجاب :

ـ وهي محاولة ذكيّة أيها الملازم .

ثم عاد يسأله في اهتمام :

ـ وماذا عن تغيير المسار بهذا الشكل العجيب ؟.. إنه يضطرنا لمواجهة الأمور ، دون أي معاونة من رجال المخابرات المصرية أو الفدائيين الفلسطينيين .. سيكون علينا الاعتماد على مهارتنا الشخصية فقط .

مط (أدهم) شفتيه ، وقال :

ـ لا مفرَّ من ذلك يا سيادة المقدم .

ثم أردف في هدوء :

ـ إنني أحب أن أعتبر خصمي دائمًا غاية في الذكاء يا سيِّدي ، وهذا ما يجعلني أتحاشى الوقوع في أخطاء ، يمكنني أنا نفسي كشفها لو كنت في مقعد الخصم ، وهذا ما جعلني أبتعد تمامًا عن الذهاب إلى (أريحا) ، ما دام كشف وصولنا إلى هناك بات أمرًا منطقيًا ، وما دام الأعداء يفكِّرون على نحو منطقي ، فعليك هزيمتهم أن تتصرَّف على نحو مخالف للمنطق والحذر .

ساد الصمت لحظات ، ثم عاد (أدهم) يستطرد :

ـ سيتركَّز البحث عنَّا في مناطق الحدود الضيقة ، حيث يمكن التسلُّل والعبور ، ولكننا سنخالف كل التوقُّعات ، وننطلق إلى أوسع نقاط الحدود ، في مبادرة انتحارية ، لن يتوقَّعها أكثرهم حذرًا .

سأله (خيري) في صوت خافت ، وهو يراقب السرعة الجنونية التي ينطلق بها (أدهم) :

ـ وأين هذه النقطة ؟

أجابه (أدهم) في صوت يوحي بالسخرية :

ـ (البحر الميِّت) يا سيِّدي المقدمّ .. سنعبُر من هناك إلى (الأردن) .

صاح (خيري) في دهشة :

ـ (البحر الميت)؟.. لقد أصبت بالجنون ولا شك .. وكيف تنوي عبوره أيها الانتحاري ؟.. هل ستسبح عبْره ؟

هزَّ (أدهم) كتفيه في لامبالاة ، وقال :

ـ سنبحث عن الوسيلة فيما بعد يا سيِّدي ، وحينما تصل إلى الجانب الشرقي من (البحر الميت) ، سأقترح

هؤلاء الإسرائيليين صائحاً : مع تحيات المخابرات المصرية .

هزَّ (خيرى) رأسه ، وهو يقول :

ـ لم يعد لدىّ شك فى جنونك .. ثم إن العلانية مرفوضة فى عمل المخابرات أيها الملازم .

رفع (أدهم) حاجبيه ، ثم عاد يخفضهما وهو يقول مبتسماً :

ـ أخالفك فى هذا الرأى ياسيادة المقدم ، فهناك أجهزة مخابرات تعتمد على شهرتها ، أكثر مما تعتمد على أعمالها الناجحة ، ويسيرون على المنطق الذى نقول عنه نحن فى أمثالنا المصرية : « الصيت ولا الغنى » ، مثل (الموساد) والـ (سى . آى . إيه) الأمريكية .

قال (خيرى) فى عناد :

ـ لا يمكن لجهاز مخابرات فى العالم أن يتم عمله علانية .. هذا مخالف للمنطق .

ضحك (أدهم) وهو يقول :

ـ لو قُدِّر لى العمل فى المخابرات يا سيادة المقدم ، فأنا أفضل الأعمال العلنية ، بحيث ترتجف القلوب فى العالم عند ذكر اسم المخابرات المصرية .. نعم .. إننى أحب رؤية الخوف فى عيون أعداء (مصر) .

* * *



١٠ ـ سماء النيران ..

توقف (قدرى) عن القراءة ليلتقط أنفاسه بعد أن وجد نفسه يلهث ، وهو يتابع أحداث عملية (أدهم صبرى) الأولى في عالم المخابرات ، فرفع وجهه إلى مدير المخابرات قائلاً في انفعال :

ـ هل تعلم يا سيدى أن (أدهم) حقق الكثير فيما تلاه ؟.. لقد وصل به الأمر بالفعل إلى أن ترتجف قلوب أعداء البلاد من مجرد ذكر اسمه .

قال (حازم) في اهتمام :

ـ أكمل القراءة يا (قدرى) .. أريد أن أعلم كيف انتهى الأمر .

ابتسم (قدرى) ربما للمرة الأولى منذ أيام طويلة ، وبدأ الشحوب يزايل وجهه المكتظ ، وهو يقول لمدير المخابرات :

ـ معذرة يا سيدى .. هل تسمح لى بطلب شىء ما من المقدم (حازم) ؟

ابتسم مدير المخابرات ، وهو يقول :

ـ افعل ما بدا لك يا (قدرى) .

التفت (قدرى) إلى (حازم) ، وقال في خبث :

ـ ألمْ تقل إنه لديك بعض الشطائر الدسمة ، والمشروبات المنعشة ؟

قفز (حازم) واقفًا ، وقال وهو يسرع نحو باب غرفة (قدرى) :

ـ سأحضرها فورًا أيها الشره .

ابتسم (قدرى) ، وقال وهو يداعب كرشه الضخم بكفه :

ـ معذرة يا سيادة المدير .. إنه الجوع .

أشعل مدير المخابرات سيجارته ، قائلاً :

ـ لا بأس يا (قدرى) .. لا بأس .

عاد (حازم) في سرعة مدهشة ، ووضع كومة كبيرة من الشطائر ، تفوح منها رائحة الشواء أمام (قدرى) ، بالإضافة إلى ثلاث زجاجات من المياه الغازية ، وهو يقول :

— هاك الطعام أيها الشَرِه .. تابع القراءة إذن .

تناول (قدرى) شطيرة غابت فى فمه بعد لحظة واحدة . ثم تناول الأخرى وهو يعاود فتح الملف ، ويتنحنح ويبدأ القراءة مرة ثانية .

* * *

حامت الهليكوبتر الإسرائيلية فوق السيارتين الإسرائيليتين ، اللتين طاردتا (أدهم) و (منى) من قبل ، وأشار (شيمون) إليهما صائحًا فى غضب محدثًا الطيّار :

— انظر .. ماذا حدث لهؤلاء الأوغاد ؟ من الواضح أنهما هاجما المصريّين ، ولكننى لا أدرى كيف تغلّب المصريّان على كل هذا العدد .

هبطت الهليكوبتر على بعد أمتار قليلة من السيارتين ، والجنود الذين قيّدهم (أدهم) و (منى) ، وأسرع (شيمون) نحو قائدهم ، فحلّ وثاقه ، وسأله فى غضب :

— ماذا حدث أيها التَعِس ؟

شرح له الرجل ما حدث بالتفصيل ، وفى كلمات سريعة ، ولم يكد ينتهى ، حتى صرخ (شيمون) فى وجهه غاضبًا :

— هل تعنى أنهما تغلّبا عليكما على هذا النحو المخزى أيها الغبىّ ؟

ارتجف قائد المجموعة وهو يقول :

— إنّ أحدهما شيطان يا سيّدى .. إنه رهيب .

دفعه (شيمون) بعيدًا فى غضب ، ثم عقد كفّيْه خلف ظهره ، واستغرق فى تفكير عميق ، وهو يغمغم فى صوت خافت :

— ولكن لماذا أخذا الزىّ العسكرى ؟.. إن هذا يضعهما فى موقف شديد الصعوبة ، حينما يطالبان بتصاريحهما العسكرية ، أو ....

وفجأة .. بتر عبارته واتسعت عيناه فى شكل عجيب ، وصاح فى صوت مرتفع :

— إن هذين المصريّين يلعبان بنا .

صاح قائد المجموعة ، وهو يحاول التقرُّب إلى رجل المخابرات الإسرائيلى :

ــ فلنطلب القبض على كل من يرتدى الزِّىّ العسكرىّ ، دون أن يحمل تصريحًا بالتجوال ياسيِّدى .. لقد سمعت الشيطان المصرى يقول إنهما سيتوجهان إلى (أريحا) أو (رام الله) .

قال (شيمون) فى خشونة :

ــ صهْ أيها الغبىّ .

ثم انطلق نحو الهليوكوبتر ، وهو يصيح فى قائدها :

ــ هيَّا أيها الطيَّار ، سننطلق فورًا .

ولم تكد الهليوكوبتر ترتفع ، حتى سأله الطيَّار :

ــ إلى أين يا جنرال ؟.. (أريحا) أم (رام الله) ؟

ابتسم (شيمون) فى مكر وشراسة ، وهو يقول :

ــ لا هذه ولا تلك ياصديقى .. لقد فهمت كيف يفكِّر المصريَّان .. إنهما يلجآن دائمًا إلى ما يخالف منطق العمل الطبيعى .. أراهنك أنهما سيتخذان المسار الذى توقَّعته من قبل .

ثم ربَّت على كتف الطيَّار ، وقد سرَت فى جسده نشوة عجيبة ، مبعثها شعوره بقرب النصر ونهاية الأمر ، مستطردًا :

ــ انطلق إلى (البحر الميت) يا رجل .. أراهنك أننا سنجد سيارتهما فى طريقها إلى هناك .

* * *

انطلقت الجيب التى تقل (أدهم) و (خيرى) بسرعة جنونية ، فى طريقها إلى ساحل (البحر الميت) ، على حين ظل الصمت راكبها ، فلم ينبس أحدهما ببنت شفة ، طوال خمسين كيلومترًا على الأقل ، إلى أن قال (أدهم) :

ــ هاقد اقتربنا ياسيِّدى .. ما هى إلا عشرون كيلومترًا أخرى ونصل إلى (البحر الميت) .

تنهَّد (خيرى) وهو يقول :

ــ من العجيب أننا لم نلتق بنقطة تفتيش إسرائيلية واحدة طوال الطريق ..

ابتسم (أدهم) ، وقال :

— إنه عملي المعتاد يا سيادة المقدم ؛ فأنا أعمل في حرب الاستنزاف ، حيث لابد للمرء من معرفة كل الطرق الآمنة ، التي يمكن اجتيازها داخل (سيناء) ، و (إسرائيل) نفسها لو اقتضى الأمر .

لم يزد (خيري) على أن قال :

— هذا واضح .

عاد الصمت يشملهما لحظات أخرى ، ثم قال (أدهم) بغتة :

— عجبًا .. يخيل إليّ أنني أسمع هدير هليوكوبتر تقترب .

أدار (خيري) رأسه يتأمل في السماء ، ثم قال في خبرة :

— السماء خالية تمامًا ، ولست أسمع شيئًا من ضجيج محرك السيارة .

أوقف (أدهم) السيارة فجأة ، مثيرًا عاصفة من الرمال ، وهو يقول :

— دعنا نستمع في هدوء إذن .

ولم يكد محرك السيارة يكف عن الضجيج ، حتى بدا صوت الهليوكوبتر واضحًا ، برغم خلو السماء من أية طائرات ، فغمغم (خيري) في قلق :

— من أين يأتي الصوت يا ترى ؟

جاءت إجابة سؤاله على نحو مفاجئ ، حينما برزت الهليوكوبتر بغتة من خلف تل قريب ، واندفعت نحوهما تمطرهما بوابل من النيران ، كما لو أن السماء تمطر نيرانًا ورصاصات ، وصاح (أدهم) وهو يدير محرك السيارة مرة أخرى :

— لقد عثروا علينا .. لقد اشتعلت النيران مرة أخرى .

وانطلقت الجيب في سرعة هائلة ، متخذة مسارًا متعرجًا انحرافيًا ، يقودها (أدهم) ، على حين رفع (خيري) رشاشه ، وأخذ يطلق النيران على الهليوكوبتر في جرأة ، ولكن قائد الهليوكوبتر لم يكن أقل مهارة وجرأة ، فبدأ يناور الطلقات ، ويمطر الجيب بالرصاصات ، مدفوعًا بصياح (شيمون) :

— أوقفهما أيها الطيار .. أوقفهما حتى لو اضطررت لقتلهما .. إن مصرعهما أفضل بكثير من نجاحهما في الهروب .

عند هذه العبارة بالذات ، اخترقت رصاصة ذراع المقدم (خيرى) ، واندفعت الدماء منها تلوث وجه (أدهم) ، ثم سقط (خيرى) نحو (أدهم) أيضًا ، فى نفس اللحظة التى انفجرت فيها عجلات السيارة ، إثر رصاصة من الهليوكوبتر ..

كل هـذه العوامل أجبرت (أدهم) على الانحراف بالسيارة على نحو مفاجىء ، دون أن يخفض من سرعتها ، فانقلبت السيارة على جانبها الأيسر ، واشتعلت النيران فى مؤخرتها ، وصرخ (شيمون) فى سعادة غامرة :

ـ رائع أيها الطيّار .. لقد أوقفتهما .. لقد قضينا على الجاسوسيْن المصريّين .

* * *

١١ ـ بحر الخلاص ..

شعر (أدهم صبرى) بالدماء تسيل من جرح غائر فى جبهته تمتزج برمال المنطقة ، وشعر بلفح النيران التى اشتعلت من مؤخرة السيارة ، فدفع جسده فى قوة ، حتى ابتعد عن السيارة ، ونهض واقفًا على قدميه ، ثم أسرع يسحب جسد (خيرى) ، الذى فقد وعيه إثر انقلاب السيارة ، متجاهلاً الهليوكوبتر التى هبطت على بعد عشرة أمتار فقط منه ، وأسرع يبتعد به عن السيارة ، ثم عاد ينتزع أنبوب إطفاء الحريق المثبّت بجانبها ، وانهمك فى إطفاء النيران حتى لا تنفجر السيارة ..

ولم يكد ينتهى من إطفاء آخر ألسنة اللهب ، حتى سمع (شيمون) يقول فى لهجة شامتة متشفّية توحى بالانتصار :

ـ ها قد التقينا ثانية يا مستر (إيزاك) .

استدار إليه (أدهم) فى هدوء ، ورآه يقف خارج



استدار إليه (أدهم) في هدوء ، ورآه يقف خارج الهليكوبتر مصوّبًا إليه مسدسه ..

الهليكوبتر مصوّبًا إليه مسدّسه ، فابتسم في سخرية ، وقال :

ـ أما زلت تصدّق أنني (إيزاك صمويل) أيها الوغد .

هزّ (شيمون) كتفيه ، وقال :

ـ كلّا بالطبع ، فلقد أثبتت تحرّياتنا أن (إيزاك صمويل) يقيم في منزله كالمعتاد ، ولقد كنا نعلم منذ البداية أنك تعد خدعة ما ، ولكننا تظاهرنا بالغباء ؛ لنرى ماذا تنوي أن تفعل أيها الجاسوس .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، أثارت حنق (شيمون) ، وهو يقول :

ـ لا تحاول خداعي أيها الوغد .. إنكم لم تكتشفوا الأمر إلّا بعد أن اتخذت أنا مسارًا مخالفًا لما توقّعتموه .. أنت كذاب فاشل أيها الوغد .

امتقع وجه (شيمون) ، ورفع مسدسه نحو (أدهم) صائحًا في غضب :

ـ أنت غبيّ أيها الجاسوس المصري .. ليس هناك

ما يمنعنى من تحطيم رأسك برصاص مسدسى .. هذا
ما سأفعله .

وفجأة .. رفع (أدهم) أنبوب إطفاء الحريق نحو (شيمون) ودفع السائل الرغوى فى وجهه ، ثم انحنى جانبًا متفاديًا الرصاصات التى أطلقها (شيمون) ، واندفع نحوه ، وكال له لكمة ساحقة حطّمت أنفه ، وأسقطته أرضًا ، ثم اختطف (أدهم) مسدسه ، واندفع نحو الهليوكوبتر ، التى أصيب قائدها بالذعر والدهشة ، وحاول إدارة محركاتها ليبتعد هاربًا ، إلا أنه فوجئ بـ (أدهم) يقفز داخلها ، ويلصق فوهة مسدس (شيمون) برأسه ، قائلاً فى لهجة ساخرة ، أثارت الرعب فى قلبه :

ـ كلا أيها الوغد .. إنك لم تعد قائد هذه الهليوكوبتر بعد .. هل تسمح بالهبوط .

أطاع الطيّار الأمر فى سرعة ، وأسرع يقف إلى جوار (شيمون) ، الذى أخذ يمسح السائل الرغوى عن وجهه فى

حنق ، وهو يكاد ينفجر غيظًا ، ولم يكد يزيح السائل عن عينيه ، حتى شعر بغضب عاصف ، حينما رأى (أدهم) يصوّب إليه مسدسه قائلاً فى هدوء :

ـ هل انتهيت أيها الوغد ؟ .. عاون هذا الطيّار إذن على حمل زميل المصاب إلى الهليوكوبتر .

أطاع الرجلان الأمر فى حنق ، وقال (شيمون) وهو يضع (خيرى) فاقد الوعى داخل الهليوكوبتر :

ـ لن يمكنك الافلات أيها الشيطان .. ستمزّقك مقاتلاتنا إربًا .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة هازئة ، وقال وهو يتخذ مكانه خلف عصا القيادة داخل الهليوكوبتر :

ـ دعك من مقاتلاتكم أيها الوغد .. سأعاملها كما يُعامَل الناموس .

دارت مراوح الهليوكوبتر ، وقد بدأت ترتفع و (شيمون) يُدْمى شفتيه كمدًا وغيظًا ، فمال الطيّار نحوه ، وقال :

— لن يمكنه الابتعاد بها .. إنه ليس محترفا .. أؤكد لك .

وفجأة .. اندفعت الهليوكوبتر بشكل رائع ، ومالت جانبا وهي تدور حول الرجلين ، وصاح (أدهم) ، وهو يلوح فما بكفه ساخرا :

— مع تحيات المخابرات المصرية أيها الأوغاد .

صاح (شيمون) وهو يراقب الهليوكوبتر ، التي ابتعدت في براعة تدل على مهارة قائدها :

— أهذا هو غير المحترف ؟.. إن هذا الشيطان يقود الطائرة كما لو كان يفعل ذلك منذ نعومة أظفاره .

غمغم الطيار ، وهو يشارك قائده حنقه وذهوله :

— ستمزقه مقاتلاتنا ياسيدي .. لن يسمحوا له بالعبور حيًا .. أؤكد لك

* * *

انطلقت الهليوكوبتر الإسرائيلية التي يقودها (أدهم) كالقذيفة نحو (البحر الميت) ، وصمت هو تماما ، وانعقد حاجباه في شكل يوحي بالعزم والتصميم ، ثم لم تلبث

الهليوكوبتر أن مرقت فوق نقاط المراقبة على ساحل (البحر الميت) ، وحينما طلب منها القائمون على الحراسة إعلان وجهتها ، اكتفى (أدهم) بضحكة ساخرة ، تموج بالاستهتار والجرأة ، فانطلقت خلفه قذائف المدفعية الإسرائيلية ..

ولكن هيهات .. فالسرعة الجنونية الانتحارية التي كان ينطلق بها (أدهم) ، لم تكن تسمح باتخاذ مايكفي من إجراءات ، حتى أن الهليوكوبتر اجتازت الحدود الأردنية ، قبل أن تنطلق أول طائرة إسرائيلية خلفها ، وانبعث من راديو الهليوكوبتر صوت عربي يطلب من (أدهم) إعلان هويته وإلا أطلقت النيران ..

وفي الحال تناول (أدهم) ميكروفون الجهاز ، وقال في سعادة لم يستطع إخفاءها :

— يسعدني أن أسمع صوتا عربيا يا صديقي .

أجابه الصوت في صرامة وخشونة :

— من أنت ؟ وماذا تفعل هنا ؟

ابتسم وهو يقول :

ـ اسمي لا يهمكم كثيرًا أيها الشقيق ، ولا طبيعة مهمتي .. هل يكفيك أنني أضع نفسي تحت تصرفكم مسالمًا ؟

عاد الصوت يقول في نفس الصرامة والخشونة :

ـ ستصطحبك مقاتلاتنا ، وستطلق النار عند أول محاولة مريبة .

أجابه (أدهم) في هدوء :

ـ هذه أجمل عبارة سمعتها منذ أيام يا صديقي .

وفي الحال .. ظهرت المقاتلات الأردنية لتحيط بالهليوكوبتر ، بحيث انطلقت طائرة فوقها وأخرى أسفلها ، واثنتان خلفها ، وواحدة أمامها تقودها إلى ممرّ الهبوط ..

فابتسم (أدهم) ، وأخذ يطلق من بين شفتيه صفيرًا منغمًا ، يشبه لحنًا وطنيًا شهيرًا ، واستمر يغنّيه حتى قادته المقاتلات إلى الهبوط في مطار عسكريّ صغير ، بالقرب من مدينة (ماريا) الأردنية .. وسرعان ما أحاطت القوات

الأردنية بالهليوكوبتر التي هبط منها (أدهم) هادئًا ، رافعًا ذراعيه فوق رأسه ، وهو يقول مبتسمًا :

ـ تسعدني رؤيتكم يا رفاق .. هلا عُنيتُم بزميل .. إننا مصريان .

* * *

مضى ما يقرب من الساعة ، قضاها (أدهم) في استجوابات قاسية دقيقة ، قبل أن تتوقف سيارة سوداء فارهة أمام مكتب البوليس الحربي ، حيث يتم استجوابه ، ويهبط منها رجلان عرف (أدهم) أحدهما فورًا ، وارتسمت معرفته على شكل ابتسامة أنيقة ، زيّنت شفتيه ، حينما اندفع الرجل نحوه ، وعانقه في سعادة ، وهو يهتف من أعماقه :

ـ مرحى أيها الملازم .. لقد حققت إنجازًا رائعًا .. أنت بطل .. بل أكثر من بطل .

ابتسم (أدهم) في هدوء ، وقال :

ـ كم تسعدني رؤيتك يا سيادة الرائد .

كان هذا الرجل هو الرائد (محمد عبد الفتاح) ، الذى استقبل (أدهم) فى بداية المغامرة ، ولقد أشار إلى زميله قائلاً :

— الرائد (حسن) أيها الملازم من المخابرات الأردنية .

أدى (أدهم) التحية العسكرية الرسمية ، ولكن الرائد (حسن) مد يده يصافحه ، قائلاً :

— يسعدنى أن أصافحك أيها البطل .. لقد انتظرناكم طويلاً فى (وادى أبو عربة) ، حتى خشينا أن تكون المهمة قد فشلت .

ابتسم (أدهم) ، وقال :

— لقد أجبرتنا الظروف على مخالفة الخطة يا سيدى .. المهم هو كيف حال سيادة المقدم ؟

أجابه الرائد (محمد) فى مرح :

— إنه بخير حال أيها الملازم .. مجرد جرح عادى فى ذراعه .. لقد أنقذته أنت من مصير مظلم .. ترى .. هل تحب الانضمام إلينا فى المخابرات ؟

صمت (أدهم) لحظة مفكرًا ، ثم ابتسم قائلاً :

— يسعدنى ذلك كثيرًا يا سيدى ، ولكن ليس فى الوقت الحالى .. إننى أفضل العمل فى صفوف الصاعقة ، ما دامت (سيناء) تحت وطأة الاحتلال .. ولكننى أتمنى العمل فى مخابراتنا بعد التحرير ، وخصوصًا بعد أن رأيت كيف تعملون .. وكم أتمنى أن يعلم العالم أجمع مدى ذكائنا .

ابتسم الرائد (محمد) ، وقال :

— ليس بعد أيها الملازم .. إن عملنا فى الوقت الحالى يقتضى الصمت .. هذا من أجل (مصر) .

* * *



١٢ ــ الختام ..

أغلق (قدرى) الملف ، وقال في حماس :

ــ يا له من عمل !! لقد كان (أدهم) موهوبا منذ البداية .

قال (حازم) :

ــ إنه لم يزل كذلك يا (قدرى) .

عاد وجه (قدرى) يكتسى بالحزن ، وهو يقول :

ــ هذا لو قُدِّر له الانتصار على الموت يا صديقى .

نهض مدير المخابرات ، وقال وهو يطفئ سيجارته :

ــ فلندعُ الله له أن يشفيه .

هزّ (قدرى) رأسه في أسًى ، وقال :

ــ كم كنت أتمنى أن أكون إلى جواره الآن .

قال مدير المخابرات :

ــ يسعدنى تقاربكم هذا يا (قدرى) ، بنفس القدر

الذى يؤسفنى فيه أن يوقف عبقرى مثلك عن الإبداع ، لمجرد أن زميلًا له أصيب إصابة خطيرة .

رفع (قدرى) وجهه المكتنز إلى مدير المخابرات ، وقال بعينين دامعتين :

ــ إنه ليس رجلًا عاديًا يا سيّدى .

قال مدير المخابرات في صرامة :

ــ ولو يا (قدرى) .. مهما حدث فنحـــن لن نتوقف .. إننا نعمل من أجل (مصر) وحدها .. و (مصر) باقية مهما سالت دماء أبنائها .. بل ربما كانت هذه الدماء هي التي تروى شجرة (مصر) العالية .

عادت الدماء إلى وجه (قدرى) ، وهو يقول في حماس :

ــ هذا صحيح يا سيّدى .. لقد كنت مخطئا .

ساد الصمت لحظة ، ثم تحرّك مدير المخابرات نحو الباب ، ولكن (قدرى) أوقفه قائلًا :

ــ معذرة يا سيّدى ولكن .. إن (أدهم) لم ينضم إلى المخابرات في هذه القصة .. فمتى تمّ ذلك ؟

ابتسم مدير المخابرات ، وقال :

ـ هذا ما سأخبركما به ، حينما أنتهى من قراءة ملف العملية الثانية له .. هل تعلمان أنه اضطر فى العملية الثانية أيضًا إلى دخول (إسرائيل) ؟

غمغم (قدرى) فى إعجاب :

ـ يا للجرأة !!

ابتسم مدير المخابرات ، وأردف :

ـ بل لقد التقى برجل المخابرات (شيمون) أيضًا ، ولكنه لم يتعرفه هذه المرة .

نهض (قدرى) بجسده البدين ، وقال فى لهفة :

ـ أكاد أتحرّق شوقًا لقراءة هذا الملف يا سيّدى .

اتسعت ابتسامة مدير المخابرات ، وهو يقول :

ـ عليك أن تصبر حتى أنتهى من قراءته يا (قدرى) ، وبعد ذلك ستعلم لِمَ أطلقنا على (أدهم صبرى) لقبه الحالى .. لقب (رجل المستحيل) .

* * *

[تمت بحمد الله]